خطبة الحرم المكي

بعض أسباب نيل السعادة الدنيوية والأخروية

بعنوان: بعض أسباب السعادة في الدنيوية والأخروية، للشيخ: عبدالله الجهني؛ حيث بين الشيخ الجهني في بداية خطبته أن المسلم مَنْ سَلِمَ الناس من يده ولسانه، والمؤمن مَنْ أَمِنَ الناسُ بوائقَه، قال خليفة رسول الله -رضي الله عنه- - أبو بكر الصديق -صلى الله عليه وسلم-: »اتَّقِ الله بطاعته، وأطِع الله بتقواه، ولْتَخِفَ يداكَ من دماء المُسلمين، وبطنك من أموالهم، ولِسانك من أعراضهم، وحاسب نَفسك في كل خطرة«.

وعلى المسلم أنِ يراقب اللَّه فِي كل لحظة، وأن يخَافِ اللَّه في دينه، وأن يرْجُهُ في جميع أموره، وأن يصبر على ما أصابه، فإنَّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطِعَ الرأسُ ذهَب الجسدُ، وعليه إذا سمع كلمة تُغضبُه في عِرضِه، فليعفُ وليصفحُ؛ فإن ذلك من عزم الأمور، قال -تعالى-: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشُّورَى: ٤٣).

عُدَّ نفسك في الموتى

اعمل كأنك ترى اللَّه -عزوجل-، وعُدَّ نفسك في الموتى، واعلم أن الشر لا ينسى، والخير لا يفنى، واعلم أن قليل يغنيك، خير من كثير يُلهيكَ، وإياك ودعوة المظلوم، وما أقبل عبدٌ بقلبه إلى اللَّه -عزوجل- إلا جعَل اللَّه قلوبَ المؤمنين تنقاد إليه بالرحمة والمودة، واحذر مَواطِنَ الغفلة، ومخاتلَ العَدُوِّ، وطرباتِ الهوى، وضراوةَ الشهوة، وأمانيَّ النفس، فإن رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم تسليمًا- قال: «أعدى أعدائكَ نفسُكَ التي بينَ جَنبَيْكَ»(أخرجه البيهقي)، وإنَّما صارت أعدى أعدائك لطاعتك لها، وكل أمر لاح لك ضوؤه بمنهاج الحق فاعرضه على الكتاب والسُّنَّة والآداب الصالحة، فإن خفي عليك أمر فخذ فيه رأي من ترضى دينه وعقله، واعلم أن على الحق شاهدًا بقَبول النفس له، ألا ترى لقول رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، وإن أفتاك المفتون»(رواه أحمد وإسناده جيد)؛ فالذي يستفتي قلبه ويعمل بما أفتاه به هو صاحب القلب السليم، لا القلب المريض؛ فإنَّ صاحب القلب المريض لو استفتى قلبه عن الموبقات والكبائر لأفتاه أنَّها حلال لا شبهة فيها.

الْقَلْبُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه-: «فَالْقَلْبُ لَا يَصْلُحُ وَلَا يَفْلَحُ، وَلَا يَلْتَذُّ، وَلَا يُسَرُّ، وَلَا يَطِيبُ، وَلَا يَسْكُنُ، وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَحُبِّهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَلَوْ حَصَلَ لَهُ كُلُّ مَا يَلْتَذُّ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لَمْ يَطْمَئِنَّ، وَلَمْ يَسْكُنْ، إِذْ فِيهِ فَقْرٌ ذَاتِيٌّ إِلَى رَبِّهِ، واحمِ القلب عَن سوء الظَّن بحسن التَّأْويل، وأَدْمِنْ قولَ: يا حيُّ يا قيومُ لا إلهَ إلَّا أنتَ، فإن ذلك يُورثُ حياةَ القلب والعقل، وادفع الْحَسَد بقِصَر الأمل، وانف الْكِبرَ باستبطان الْعِزِّ، واترك كلَّ فعل يضطركَ إلى اعتذار، وجانِبْ كلَّ حال يرميكَ في التَّكَلُّف، وصُنْ دينَكَ بالاقتداء، واحفَظْ أمانتَكَ بطَلَب الْعلم، وحَصِّنْ عقلكَ بآداب أهلِ الْحِلْمِ، واستعِنْ بِاللَّه فِي كلِّ أمرٍ، واستخِرِ اللَّه



• ما أحــوجَ المسلمين فـي هـذا الـزمـن المـلـوء بـالـفـتن والإحــن والمـصـائـب إلــى الـعـمـل بنظام الإســلام مـن مـكـارم الأخــلاق فيتحلى المسلم بها وبـآدابـهـا ويـكـون على عقيدة ومنهج قويم

في كلِّ حَالٍ، وَمَا أرادكَ اللّه لَهُ فاترك الاعْـتِـرَاضَ فيه، وكـلُّ عمل تحب أَن تلقى اللّه به فَأَلْزِمْهُ نَفسَكَ، وكلُّ أَمرٍ تكرههُ لغيركَ فاعتزلْه من أخلاقك، وكلُّ صَاحبٍ لَا تزدادُ به خيرًا فِي كل يَوْمٍ، فانبِذْ عَنْكَ صحبتَه، وَخذ بحظك منَ الْعَفو، وَقيِّد الْجَوَارِحَ بإحكام الْعلم، وراعِ همَّكَ بِمَعْرِفَة قرب اللّه –تبارك وتعالى– مِنْـكَ، وقُـمْ بَـيـنَ يَـدَيْـهِ مقَامَ العَبْدِ المستجير، تَجِدْهُ رؤوفًا رحيمًا، قـال رسـول اللّه –ﷺ–: «مَــنْ كَــانَ يُحبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ؟ فَإِنَّ اللَّهَ –عز وجل– يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ»(رواه الحاكم)، وذلك على قدر الخشية للّه، والعلم به، والمعرفة له.

مَنْ آثَر اللّه آثَرَهُ

واعلم أنَّه مَنْ آثَر اللّه آثَرَهُ، ومَنْ أطاعَه فقد أحبَّه، ومَنْ ترَك له شيئًا لم يعذبه به، كما قال رسول اللّه –ﷺ– للحَسَن بن علي بن أبي طالب –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: «دَعْ مَا يُرِيبُكَ إلـى ما لا يُرِيبُكَ»(أخرجه الترمذي وأحمد)؛ فإنك –يا عبداللّه– لن تجد فَقْدَ شيءٍ تركتَه للّه، واعلم أن مَنْ أصغى إلى كلام اللّه وكلام رسوله –ﷺ– بعقله، وتدَّبره بقلبه، وجَد فيه من الفَهْم، والحـلاوة والـهـدى، وشفاء القلوب والبركة والمنفعة، ما لا يجده في شيء من الكلام، لا في منظومه ولا منثوره.



ما أحوجَ المسلمين إلى العمل بالإسلام!

فما أحـوجَ المسلمين فـي هـذا الزمن المـلـوء بـالـفـتـن والإحــن والمـصـائـب، المـلـوء بالحقد والحسد والضغائن، المـحـفـوف بـالـعـقـوبـات والأخـطـار، ما أحوجهم إلى العمل بنظام الإسلام! من مكارم الأخلاق، التي حثَّ عليها القرآنُ الكريمُ، والسُّنَّةُ المطهَّرةُ، فيتحلى المسلم بها وبآدابها، ويكون على عقيدة ومنهج قويم، بها يدعو غير المسلمين للإسلام؛ فإنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الـوجـه وحسن الخلق، أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم: ﴿خُـذِ الْعَفْوَ وَأْمُـرْ بِـالْـعُـرْفِ وَأَعْـرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾(الأَعْرَاف: ١٩٩-٢٠١).

• على المسلم أن يراقب اللّه في كل لحظة وأن يخاف اللّه في دينه وأن يرجُوَهُ في جميع أموره

تقوى اللّه أنفع الوسائل

فيا أيها المسلمون: اتقوا اللّه فإن تقواه أنفع الـوسـائـل والـذخـائـر، ولا تكونوا كالذين بدَّلوا نعمةَ اللّه كُفرًا، ولم يلتفتوا إلـى مـا أمامهم من المـوارد والمـصـادر، وراقبوه؛ فإنَّه مطلع عليكم، يراكم ويعلم حركاتكم وسكناتكم؛ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾(غَافِر: ١٩).

حاسِبوا أنفسَكم

حـاسـبـوا أنـفـسـكـم مـا دمـتـم فـي دار المحاسَبة والعمل، قبل أن تُحاسَبُوا في دار الـجـزاء وانقطاع الأمـل، وتأهَّبوا لـلـقـاء ربـكـم، وتــزوَّدوا بــزاد التقوى والـصـلاح لـقـبـوركـم، ولـيـوم نـشـوركـم، واحذروا الغفلةَ، احذروا الغفلةَ يا عبادَ اللّهِ، فإنَّها ضياع وباطل، وتورد المهالك، وتسد المسالك، وارضـوا عن اللّه –عز وجل– فيما قـدَّرَه لكم، فكل ما قدره الجليل هو الجميل.

وصلُّوا وسلِّمُوا على البشير النذير، والـسـراج المنير، القائل: «إن أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى اللّه وحسن الـخـلـق»، وقـد أمـركِـم اللّه بذلك فقال –عز وجل–: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(الأَحْزَاب: ٥٦)، وقال –ﷺ–: «مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ عَشْرًا».